وفيه دليل على ان الضحك في مواضع التعجب سيما ما هو في مثل تعجبه صلى الله عليه
وسلم لا يكره ولا يخرم المروة اذا لم يتجاوز به الحد المعتاد ولا ينافي هذا ما مر
عن عائشة لانها انما نفت رؤيتها وابو ذر راوي هذا الحديث اخبر بما
شاهده والمثبت مقدم على النافي والحاصل من مجموع الاحاديث كما قاله
بعض محققي المتاخرين من المحدثين انه صلى الله عليه وسلم كان في اغلب
احواله لا يزيد على التبسم وربما زاد على ذلك فضحك والمكروه من ذلك
انما هو الاكثار منه والافراط فيه لانه يذهب الوقار قال بعضهم والذي
ينبغي ان يقتدى به من افعاله ما واظب عليه من ذلك وروى البخاري في
الادب المفرد وابن ماجة لا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب
ومر انه صلى الله عليه وسلم كان اذا ضحك يتلالا في الجدر بضم اوليه اي
يشرق نوره عليها اشراقا كاشراق الشمس عليها واعلم انه كان صلى الله عليه
وسلم محفوظا من التثاوب كما في تاريخ البخاري ومصنف ابن ابي شيبة
زاد الثاني ان ذلك عام في الانبيا حدثنا احمد بن منيع ثنا معاوية بن عمرو
ثنا زايدة عن اسماعيل بن ابي خالد عن قيس عن جرير قال ما حجبني منعني من
الدخول عليه في الاوقات التي يدخل عليه فيها خواص اصحابه وخدمه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا رآني منذ اسلمت اي حين اسلمت اذ
الحذف من الثاني لدلالة الاول عليه ومن هنا ان القيد يرجع الى الجمل
المتقدمة عليه والمتاخرة عنه واول ذلك اعني حجبني شارح بما لا يقبله
طبع سليم الا ضحك اي تبسم كما في الرواية الاتية الموافقة لرواية البخاري
والمراد بذلك اظهار خصوصية به صلى الله عليه وسلم وانه كان يشهد
فيه مشهدا من مشاهد الفضل والرحمة المقتضي لفرحه المستلزم لتبسمه
قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا حدثنا هناد بن السري انا ابو
معاوية عن الاعمش عن ابراهيم عن عبيدة بفتح فكسر السلماني عن عبد
الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف
اخر اهل النار خروجا رجل يخرج منها زحفا هو المشي على الاست مع اشرافه
بصدره وفي رواية حبوا وهو المشي على اليدين والرجلين او الركبتين
او المقعدة ولا تنافي لان احدهما قد يراد به الاخر وانه يزحف تارة
ويحبو اخرى فيقال له انطلق فادخل الجنة قال فيذهب ليدخل
فيجد الناس قد اخذوا المنازل فيرجع فيقول يا رب قد اخذ الناس

المنازل فيقال له اتذكر الزمان الذي كنت فيه فيقول نعم اي تقيس
لمنزلك هذا الذي انت فيه الآن بمنزلك الذي كنت فيه في الدنيا ان الامكنة
اذا امتلات بالساكنين لم يكن للاتي مسكن فيها بل لك مع امتلائها مساكن
كثيرة والفرق ان تلك دار ضيق ومحنة وهذه دار سعة ومنة فيقال
له تمن فيتمنى فيقال له فان لك الذي تمنيت وعشرة اضعاف
الدنيا قال فيقول اتسخر مني انما صدر منه هذا على جهة الدهش لما ناله
من السرور ببلوغ ما لم يخطر بباله فلم يكن حينئذ ضابطا لما قاله ولا عالما
بما يترتب عليه بل جرى على عادته في مخاطبة المخلوق فهو كمن قال صلى الله عليه
وسلم في حقه انه لم يضبط نفسه من الفرح في الدعا فقال انت عبدي
وانا ربك وفي رواية اتسخر بي والاولى افصح واشهر وبها جاء القران قيل
وعدي تسخر بالباء لتضمنه تهزأ وانت الملك قال فلقد رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه حدثنا قتيبة بن
سعيد انا ابو الاحوص عن ابي اسحق عن علي بن ربيعة قال شهدت
عليا رضي الله عنه اي حضرته اتي بدابة ليركبها اصلها لغة ما يدب على وجه
الارض ثم خصصها العرف العام بذوات الاربع فلما وضع رجله في الركاب
قال باسم الله قيل كانه ماخوذ من قول نوح عليه السلام لما اراد ان
يركب السفينة قال باسم الله مجراها ومرساها انتهى وليس في محله
لان عليا نقل ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وبين انه تاسى به في ذلك
فكيف مع ذلك يقال كانه ماخوذ الى اخره فلما استوى على ظهرها قال
الحمد لله اي على هذه النعمة العظيمة وهي تسييره الدابة وتسخيرها للركوب
ويؤيده ذكر الذي الى اخره تنبيها على سر قوله ذلك هنا المناسب بما ذكرته بقوله
وكانه الى اخره ثم قال سبحان الذي سخر لنا هذا تنزيه عن ان يكون له
شريك في ملكه وكان وجه مناسبته ان تسخير الدواب لنا نعمة عظيمة
لا يقدر عليها غير الله تعالى فناسب شهود تنزيهه عن شريك حينئذ
وقيل انه تنزيه عن الاستوا الحقيقي على العرش المذكور به الاستواء على
الدابة وما كنا له مقرنين مطيقين لولا تسخيره وانا الى ربنا لمنقلبون
لراجعون الى الدار الاخرة وناسب ذكره لان الدابة سبب من اسباب التلف
والهلاك اذ كثيرا ما يسقط راكبها فيندق عنقه فكان شهود الراكب الموت وقد
اتصل به سبب من اسبابه حاملا له على تقوى الله تعالى في ركوبه ومسيره

Copyright © King Saud University